المقدمة

ترقى المجتمعات بأهدافها الطموحة وجودة فكرها ومؤسساتها وانجازاتها وتوجّهاتها الحضارية. وهكذا كان العصر الذهبي المعروف للعرب خلال سبعة قرون بين السابع الى الرابع عشر الميلادي، حيث ازدهرت المدارس والجامعات والمراكز الثقافية في بغداد ودمشق والقاهرة ومدن الأندلس لغرناطة وقرطبة واشبيلية وطليطلة وبرشلونة، منارات للمعرفة ومرجعيات بحثية علمية وأكاديمية مفتوحة لمختلف الباحثين والمستشرقين والدارسين الأوروبيين.

لقد كانت جودة المؤسسات التربوية والثقافية العربية العامل الرئيس المؤثر في انتاج النهضة الأوروبية، والكشوف الجغرافية، والطباعة الآلية، وانتشار مراكز التربية والتعليم، ونشوء الدول القومية، والتقدم الصناعي والتجاري، وصولاً في القرن العشرين الماضي الى ابتكارات تربوية وعلمية غير مسبوقة اضافة الى كشف الفضاء وتطورات المعلوماتية الرقمية المتسارعة هذه الأيام.

ولكن العرب تخلّوا عن معايير وعادات الجودة التي تفوقوا بها طيلة سبعة قرون في العصر الذهبي، بفعل عوامل سلبية ضاغطة داخلية وخارجية كان أهمها غزو المغول والفرنجة للشرق العربي وسقوط بغداد ودمشق والأندلس، واستفحال الخلافات الرسمية البينية العربية العربية في القرنين الثاني والثالث عشر، انكفأ فكرهم وإبداعهم وهانت حالهم وأُستعمِروا بشتى الأساليب القديمة الجديدة والحجج الطامعة لا حدود لها، وما زالوا للأسف على ذلك حتى اللحظة! ولا سبيل لتحرّر العرب من هذه الدونية الحضارية الراهنة الاّ بالعودة المستنيرة الى ممارسة معايير وعادات الجودة في فكرهم ومؤسساتهم وأولها التربية التي تقرّر جودتها بالدرجة الأولى جودة الانسان والمؤسسات والمجتمع.

ان هذا الكتاب هو مساهمة موضوعية لإثارة الوعي العام بأهمية ثقافة وعادات الجودة في المؤسسات التربوية العربية، ولتعزيز استنبات مفاهيمها وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل المدرسي بما فيها التدريس.

محمد زياد حمدان

الفيحاء ٢٩ /٥/٢٠١٥